السائدة في كل انحاء السامية اعني في سورية وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب . الا ان اللغة الرسمية بين عمال الدولة ولغة العلماء كانت اليونانية في كثير من تلك البلاد دون ان تشيع في عامتها » (١) ولما انتشر الدين المسيحي في حمص كان لكنيسة السريانية فيها مقام عظيم ومركز ذو اهمية كبيرة. وبقيت اللغة السريانية راسخة فيها الى ايام الفتح الاسلامي

ولا عجب اذا كنا نرى في حمص كتابات كثيرة منقوشة على الجدران في انحاء شتى من المدينة حتى الآن واكثرها باللغة اليونانية دون السريانية . لان السريان قلما كانوا يعتنون بالنقش على الحجر . ولم يتفرغ الاثريون للبحث عن الكتابات السريانية ونشرها الا ان ما عرف الى الآن يدل دلالة واضحة على ان اللغة السريانية كانت بلا شك لسان العامة لا بل لسان كثيرين من اهل الفضل والادب

يوسف اليان سركيس

غليوم

تغيرت الدنيا فهل هي زُورُ ... ام الفلكُ الدوّار ليس يدورُ
رماها نفاق السيف في شر غضبةٍ ... تلظّى بأحقاد الورى وتفورُ
تججُ شرارا يضرمُ الماء والثرى ... ويشوي طيورَ الجوّ وهي تطيرُ
شرارة نيران العقول وانما ... شرارة نيران العقول شرورُ

***

تجهّم يوماً وجه (غليوم) وانزوى ... فما في وجوه العالمين سرورُ
ولا ضحكٌ في الارض الا ابتسامة ... لها القاضباتُ اللامعاتُ تثورُ
وأبرأ داء الحب في كل منزع ... من البغض داء لا يُساغ مريرُ
فللشعب من شعب وللأخ من اخ ... وللبيت لا لاظبي الكناس تفورُ
وما انبتّ ما بين الورى من علائقٍ ... فبينهنّ لا في الغانيات فتورُ
اذا ان اظلمت في وجه (غليوم) عبةٌ ... تنشت بها الدنيا فليس تنيرُ
وعادت حداداً للثواكل داجياً ... ومنها على اقارهنّ ستورُ

---

(١) تشريع الابصار للاب لامنس الجزء ٢ ص ٦١ و ٦٥

وفي كل ارض يتشعر ترابها على ظلها فالكون اجرد بور
فياسورة لو ان (غليوم) زارها ولكنّ شيطان الملوك جسور
اراحت عمود الارض عن مستقره فكادت الى مهوى الفناء تصير
بضرب كهذا الطود من قذفاته نكير فلم يعظم عليه نكير
يفلق هامات الجبال فصخرها فتيتٌ على وجه التراب نثير
فكيف بهامات المغاوير عنده أهنّ حديد ام فهنّ صخور
ونار يحدّ الدهر من لفحاتها فللدهر منها رعدة وحرور
بها اخترع الخلق الضعاف جهنماً لأنفسهم بئس الغرور غرور
لقد صهر الانسان من كل معدن وباة برّ النار وهو خبير
وناظر من صنع الطبيعة ما ابتنى وابدع صنعاً ليس منه نظير
فلم ير الا معدن الروح معدناً لصنع حلى الاملاك حين تجور

* * *

فويلاتها حرباً ضراراً زرية بها كل دين للانام كفور
ترى الموت غير الموت فيها وكيف لا واول مقتول هناك ضمير
قليل لعمري ما جنى الناس بينهم ولكنما قتل الضمير كثير
وزادت بحور الارض بحراً ملوّناً من الدم جمر قانئ وسعير
تدفّع في تيّاره وعبابه يمد على امطارها ويمور
وكم صبّ فيه للمدامع جدول وكم هبّ فيه للقلوب زفير
وتجري به سفنٌ من الهام عوّمٌ مراقبها في الساحلين قبور
تمدّ عليها كالمجاذيف اذرع وكل سواريها هناك نحور

* * *

(اغليوم) اذللت المعالي فلم تزل على بابك العالي لهنّ عثور
اذا جنحوا للسلم زلزلتها لهم زئيراً به حلق الثيوث جدير
على خطب ينذى لروض بيانها ضباب من البارود فهو مطير
قوارع سوء يُشعر الموت لذعها وليس لمن يرمي بهنّ شعور
كأنك للمريخ في الارض مرصد به كل حين للحروب نذير
وقد يبدع الله الملوك بقوة لتهلك مما يبدعون عصور

أليس عجيباً ان ترى الحسن زينةً ... وما كان لولا الحسن قط فجورُ
تصرصر كالبازي ومن ساسة الورى ... لديك عصافير لهنَّ صفيرُ
حواليهمو ظلُّ السلام وبرده ... وحولك لفح محرق وهجيرُ
وغرَّك من لهو الشعوب تغافلٌ ... رخيٌّ على لذاتهنَّ طريرُ
رياحينُ في جد الحياة وهزلها ... لهم روضة من عيشهم وغديرُ
اناقت عليهم منك دوحةُ نقمة ... بها للمنايا الخاتمات وُكورُ
وأثمارها هامٌ واغصانها القنى ... ومن زهرها ذاك الرصاص نثيرُ
وكل الذي في ارضهم من مدافع ... لجذعك يا روح القتال جذورُ

فلما استطار الشر طار جنونهم ... وعفَّت على تلك الامور امورُ
وكم من شعوب كلما مسَّها الصدا ... جلاهنَّ من نار الحوادث كيرُ
واضرمتها في الارض حتى تلاظمت ... عليك بهاتيك الجيوش بحورُ
ورى الغيظ منها كل صدر فاقبلت ... وليس بها قلب عليك صبورُ
فجمعهمو في العز والحذر والهوى ... وجيشك في هذي الفعال شهيرُ
هو الجيش لولا ان فيه شجاعةً ... تساوت حصون عندها وخدورُ
يزفُّ زفيفَ الجنِّ في فلواتها ... لهن هرير منكر وهديرُ
ويقتل حتى العهد منهُ مجندلٌ ... ويأسر حتى الحق فيه اسيرُ
واحيتهم بالظلم حتى توقَّدوا ... وما منهمو الاَّ اشمُّ غيورُ
اذا استنجد القلبَ الحميَّ ابن همةٍ ... لها همّ لم يعسر عليه عسيرُ
فجاؤا يرجُّون البلاد كأنهم ... زلازلُ والمدنُ الحصينة دورُ
بكل كميٍّ عنده الموت ميتٌ ... وفي همهِ امر الحياة حقيرُ
جنود يرون الحق بعض سلاحهم ... فمن حربهم نارٌ عليك ونورُ
مدافعهم فيها سعير صدورهم ... فكلٌّ حديدٌ مضرم وصدورُ
واسيافهم غضبى يطير فرندها ... كالحاظهم في البأس حين تدورُ
ومنهم على ظهر التراب ضراغمٌ ... ومنهم على متن السحاب نسورُ
جرى الحقد في مجرى الدمامن عروقهم ... وثارت بهم غلفُ القلوب ثؤورُ
فان جرحت منهم بسيوف عداتهم ... فبالشمل الحمر الجراحُ تفورُ

وبدأة شر لم تكن فابتدأتها ... كأنك فيها أول وأخير
واصغرتها والشر في بطن امه ... ولمّ تتدثر نر عاقت كبير
ولم تخش ما يخشى اللبيب فراسة ... ولا تتبصّر واللبيب بصير
مطامعُ خت الدهر فيهن خادماً ... كأنك مولًى والزمان اجير
زعمتَ لها في غيب ربك اعيناً ... فلما اجتليناها اذا هي عورُ
وتحسب سيف الله سيفك صلّةً ... ولله سيف ليس منهُ مجيرُ
وقلت رسول للزمان ومن ترى ... من الانبيا ذو لبدتين همورُ
رسول ولكن بالعذاب لدهره ... وعزريل منهُ صاحب وسفيرُ
ووحيك تتلوهُ المدافع اذ لها ... اصابع من تلك السيوف تشيرُ
ومزّقت للاسلام والشرق دولة ... تملّى بها ملكٌ وسرّ سريرُ
لقد كان عون الله فيها ونصرهُ ... ففارقها مذ قيل انت نصير
تمكنت من عرنينها فاستقدتها ... بحبلي بلاء (قائد ووزيرُ)
واطفأتَ ماضيها (بطلعة انورٍ) ... فيا انور لم يبق في اسمك نورُ

وحين صحا للحق جيش مرفرفٌ ... وجيشك ذيّال الجناح كسيرُ
فررت فراراً كل ذنبك عندهُ ... وان كان ملء المغربين صغيرُ
عساك طوال الحرب قد كنت نائماً ... ولم ترَ ليلاً في الصباح يغورُ
واوفيتها خمسين شهراً ونيفاً ... وانت على عرش الوساد اميرُ
ولم تخرب الدنيا ولكن رأيتها ... كذلك في حلم وانت قريرُ
فلما مسحت النوم قمت مهنئاً ... يلاقيك من وجه الصباح بشيرُ

فيا عبرة لم تشهد الارض مثلها ... وللارض اجيال خلت ودهورُ
بغليوم . بالالمان . بالعلم . بالغنى ... اضيفت لتاريخ الخراب سطورُ

مصطفى صادق الرافعي